للإمام الحافظ المقرئ أبي الخير
محمد بن محمد ابن الجزري
المتوفى سنة ٨٣٣ هـ

عناية
محمد أبي الخير الملقي

عَرفُ التَّعريفِ بالمَوْلِدِ الشَّريف

للإمام الحافظ المُقرئ أبي الخيْر
مُحَمَّد بن مُحَمَّد ابن الجزري
المتوفى سنة ٨٣٣ هـ

عِنايَة

محمَّد أبي الخير المُلقي

مقدمة التّحقيق

الحمد لله القائل: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾، والصّلاة والسّلام على سيدنا ومولانا محمدٍ الصادقِ الوعد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، فقد كثُر الجهل والجهلاء في هذا الزمن الذي نعاني منه من قلة العلم والعلماء، مما فسح المجال لمدعي العلم وأشباه العلماء للإنكار على أبسط المسائل التي أقرّها سلفنا الصالح من هذه الأمة المحمدية، بل تطاول هؤلاء على صاحب المقام المحمود صلوات ربي وسلامه عليه، وراحوا يزرعون أفكارًا وكلماتٍ لا تخرج من لسان مؤمن ينتمي لهذه الأمة ولهذا النبي ﷺ انتماءَ محبٍّ صادق لله ورسوله، فمن جملة ما أنكروا عملَ الموالد والاحتفالَ بمولده ﷺ واستدلّوا لذلك بعدم قيام الصّحابة بذلك والتابعين.

وتوضيحًا، فإن عصر الإسلام الأول، كان عصر النبوة، ومستهل الرسالة، ومطلع شمس البعثة، ومبتدأ نشر الدعوة، وفيه تنبهت العقول إلى

الاعتبار بالكائنات، وتحريك القلوب إلى معرفة الخالق، ثم تحرير الإنسانية من رق العبودية، وتشييد أركان الاجتماع على سنن الفطرة السليمة وأحكام دين الله القويم.

هذا من جهة أول الإسلام مع تذكار أن المصطفى ﷺ الذي هو الأسوة الحسنة قد احتفل بمولده فصام نهار الاثنين. وأما في عصر الخلفاء الراشدين، فلم يفكر أحد من الخلفاء الراشدين في أن لمولده عليه السلام من الشأن ما يوجب تذكاره بصورة عامة، أو الاحتفال به واقترانه بالواجبات الهائلة التي ألقاها الدين على عاتقهم، فما إن انتقل إلى الرفيق الأعلى حتى انصرفوا بما أوتوا من قوة الإيمان بالله تعالى إلى توطيد أركان الدين في أنحاء الجزيرة العربية، وتوطيد دعائمه في طوايا النفوس التي عراها من الاضطراب إثر الوفاة ما عراها، ثم التوسع في الجهاد وطرق أبواب الفتوح من أجل ذلك لم يفكروا في إحياء هذه الذكرى الكريمة، ذكرى مولد النبي الشريف، ولم يجر لهم الاحتفال بها على خاطر، فإن الفرائض مقدمة على النوافل.

وفي عصر الدولة الأموية؛ فإن المسلمين قد شُغِلوا بمنازعة خصومهم من العلويين، ومقارعة منافسيهم من الزبيريين، ثم تجرّدوا لمحاربة الخوارج والمتمرِّدين. ثم تلتهم الدولة العباسية إذ كان أكبر همهم انتزاع الملك من أواخر المروانيين ومواجهة الفتن التي توالت عليهم. ثم جاءت الدولة الفاطمية، وفيه سنّ الاحتفال بالمولد في القرن الرابع تحديدًا على أنه يُلحَظ مع هذا أنه

قد سبق التأليف في المولد الشريف بخصوصه في القرن الذي سبقه فكتب ابن أبي عاصم مولداً أسنده مؤلِّف صلة الخلف، وتبعه الأئمة شرقًا وغربًا حفاظًا وفقهاء.

وكما سنَّ في الشّرق الاحتفال، فقد سنَّه في الأندلس سلطانُ سبتة أبو العباس العزفي، وألَّف فيه «الدرّ المنظم في المولد المعظَّم» مولِدًا مسنَدًا تجدُ أخباره والثناءَ عليه في «أزهار الرياض»، ونقلًا عنه في «التآليف المولدية» لشيخ شيوخنا السيد محمد عبد الحي الكتاني.

ومن تآليف الحفّاظ المحدِّثين هذا المولدُ المختصَر لشيخ القُرّاء شمسِ الحفاظ أبي الخير محمد بن محمد ابن الجزَري الدِّمشقي الذي أسماه «عرف التعريف بالمولد الشريف»، وهو مختصَر من مولده الكبير الذي ذكره جماعة ممن ترجموا له، كالسّخاوي في ضوئه، وقد ساق إسنادَه زكريا الأنصاري في مشيخته (ص٢٢٣) عن شيخه أبي النعيم رضوان المُستملي سماعًا، بسماعه له على مؤلِّفه. وقد نقل عنه السيوطي في فتاويه وأسنده في مشيخته، والقسطلاني في المواهب اللدنية.

وإني اعتمدتُ في إخراج هذا المولد على نسخة جامعة برنستون ضمن مجموع برقم ٢٢٥ مجاميع من الورقة ١٤١-١٤٨. أما ترجمة المؤلِّف فقد تكفَّل بها كتاب شيخنا مطيع الحافظ في كتابه: «القراءات وكِبار القُرّاء في دمشق» من ص٢٧٥-٣٦٢.

وأما روايته فمسلسلًا بالدِّمَشقيين عن مشايخنا سليم أبو ضاهر وتيسير المخزومي، عن عبد القادر القصّاب، عن بكري العطار، عن حسن البيطار، عن عبد الرحمن الكزبري، ح وأعلا منه عن شيخنا مرشد عابدين، عن أبيه أبي الخير، عن أحمد مسلم الكزبري ومحمود الحمزاوي، كلاهما عن عبد الرحمن الكزبري، ح ومساوٍ له عن شيخنا رياض المالح ومطيع الحافظ، عن عبد المحسن الأسطواني، عن الحمزاوي، عن الكزبري، عن مصطفى الرَّحمتي، عن عبد الغني النابلسي، عن النجم بن البدر الغزي، عن أبيه، عن القاضي زكريا الأنصاري، عن رضوان العقبي سماعًا، عن المؤلِّف سماعًا.

نسأل الله تعالى أن يتقبّل ذلك منّا ويجعله في ميزان حسناتنا إنه سميع مجيب.

في بيروت المحروسة
في ١٧ رمضان المعظم
سنة ١٤٣١هـ.

وكتبه الفقير
محمد أبو الخير الملقي الميداني
الدمشقي

اللوحة الأولى من نسخة جامعة برنستون

١٤٨

اللوحة الأخيرة من نسخة جامعة برنستون

للإمام الحافظ المقرئ أبي الخير
محمد بن محمد ابن الجزري
المتوفى سنة ٨٣٣ هـ

عناية

محمد أبي الخير الملقي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعلَ شهر ربيعِ الأولِ بالمولد الشَّريف ربيعَ القلوب؛ وجلا به عن عبادِه الغموم وأزال بوجوده الكروب؛ وأطفأ به نارَ الشِّرك، وصدَعَ به إيوانَ الإفكِ، ورفعَ به جميعَ النَّقائص والعُيوب؛ وأضاء بنوره مشارِقَ الأرضِ ومغارِبَها إشارةً إلى ظهورِ هذا الدين بها فسبحانَ علام الغُيوب.

هذا الشَّهر في الإسلامِ فضلٌ وإفضالٌ يفوقُ على الجميعِ

نحمَدُه على أن جعلنا من أمَّته، ونشكره على أن هدانا لِملَّته، ونسأله أن يميتنا على سنَّتِه ومحبَّته؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، شهادةً مقتطِفٍ من هذا الشَّهرِ زهرَ الرَّبيع، مختَطِفٍ ما يبدو في لياليه من النّور البديع.

ونشهدُ أنَّ سيِّدَنا محمّدًا عبدُه ورسولُه ونبيُّه وصفِيُّه ونَجِيُّه، أظهرَه بالهدى ودينِ الحقِّ ليُظهِرَه على الدِّين كلِّه ولو كرِه المشرِكون؛ صلى الله عليه وعلى آله الطَّيِّبين الطاهرين، وأصحابه المنتجَبين الأكرمين، خصوصًا الخلفاءَ الراشدين والأئمةَ المهديّين الذين قضَوا بالحقِّ وبه كانوا يعدلون؛

صلاةً دائمةً باقيةً إلى يوم الدّين، ما وُلِدَ مولودٌ ووُجِدَ موجودٌ، وسلَّم تسليمًا كثيرًا، حتّى يرِثَ اللهُ الأرضَ ومَن عليها وهو خير الوارثين.

وبعد،

فهذا شهرُ مولدِ سيِّدِ الأوّلينَ والآخرين، وقائدِ الغُرِّ المحجَّلين، وحبيبِ ربِّ العالمين، الذي أرسله اللهُ للخلق أجمعين، وفضَّله على جميعِ الأنبياءِ والمرسلين، والملائكةِ المقرَّبين، وخصَّهُ بالشَّفاعةِ العُظمى يوم الدِّين.

[نسبه الشّريف ﷺ]

فهو: محمّدُ بنُ عبدِ الله بنِ عبدِ المطَّلبِ بنِ هاشمِ بنِ عبدِ منافِ بنِ قُصَيِّ بنِ كلابِ بنِ مُرَّةَ بنِ كعبِ بنِ لؤيِّ بنِ غالبِ بن فِهرِ بنِ مالكِ بن النَّضرِ بنِ كِنانةَ بن خُزيمةَ بنِ مُدْرِكَةَ بنِ إلياسَ بنِ مُضَرَ بن نِزارِ بنِ معَدِّ ابنِ عَدْنان، إلى هنا متَّفَقٌ عليه، واختلفوا في تسميةِ بقيّةِ أجدادِهِ ﷺ من آدمَ ﷺ إلى عدنان، مع اتِّفاقِهم على أنَّ عدنانَ من ذُرِّيَّة إسماعيلَ الذّبيح ﷺ ابنِ إبراهيمَ الخليلِ ﷺ.

أخبرنا الشّيخ الرُّحلة أبو عبد الله محمدُ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيمَ المقدسيُّ بقراءتي عليه، قال: أخبرنا أبو الحسن عليُّ بن أحمدَ الحنبلي، قال: أخبرنا حنبلُ بن عبد الله الرُّصافي، أخبرنا هبةُ [الله ابنُ] الحُصين، أخبرنا الحسنُ ابنُ علي، أخبرنا أحمدُ بنُ جعفر، حدّثنا عبد الله [ابن] الإمام أحمدَ الحنبليُّ، حدّثني أبي، حدّثنا محمدُ بن مُصعَب، حدّثنا الأوزاعيّ، عن شدّادِ أبي عمّار،

عن واثلةَ بن الأسقعِ رضي الله عنه، أنّ النّبي ﷺ قال: «إنّ الله اصطفى من ولَدِ [إبراهيمَ] إسماعيلَ، واصطفى من بني إسماعيلَ كنانةَ، واصطفى من بني كِنانةَ قريشًا، واصطفى من قريشٍ بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم». أخرجه مسلم في صحيحه، والتِّرمذي في جامعه وقال: حسن صحيح[١].

ورواه الطبراني[٢] من حديثِ ابنِ عمرَ رضي الله عنهما ولفظه: أنّ النبي ﷺ قال: «إنَّ الله اختارَ خلقَه، فاختار منهم بني آدم، ثم اختار بني آدمَ فاختار منهم العرب، ثم اختار العرب فاختار منهم بني هاشم، واختارني منهم، فلم أزل خيارًا من خيار، ألا مَن أحبَّ العربَ فبِحُبّي أحبَّهم، ومَن أبغضهم فببُغضي أبغضَهم».

فالعُـرْبُ خـيرُ أنـاسٍ ثـمَّ خيرُهُـمُ محمَّـدٌ فهُـوَ فـيهِمْ خـيرُ خـيرهِم
إن تقرأ النَّحل ينحل جسم حاسِدهِم وفي بـراءة يبـدو وجـهُ جـاهِهم[٣]

وروّينا أيضًا في مسند أحمد عن العِرباض بنِ ساريةَ رضي الله عنه

---

(١) أخرجه أحمد في أوّل مسند الشاميين في مسند واثلة بن الأسقع رقم ١٧١١٢ (٥: ٧٩٣- ٧٩٤- عالم الكتب). ومسلم في كتاب: الفضائل، باب: فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة برقم ٥٨٩٧ (١٥: ٣٨- المعرفة)؛ والترمذي في كتاب: المناقب، باب: في فضل النبي ﷺ برقم ٣٦٠٥- ٣٦٠٦ (٥: ٥٨٣).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم ١٣٦٥٠ (١٢: ٤٥٥).

(٣) هذه الأبيات من معارضة ابن جابر الأندلسي للبردة. انظر: نظم العقدَين في مدح سيِّد الكونين، له ص٥٠١، لكن بلفظ: قُرَيشُهُم، بدل: محمد.

قال: قال رسول الله ﷺ: «إني عبدُ الله لَمكتوبٌ خاتَم النّبيّين وإنّ آدمَ لَمُنجَدِلٌ في طِينته، وسأخبركم بأوّل ذلك: دعوةُ إبراهيم، وبِشارة عيسى، ورؤيا أُمّي رأتني حين وضعتني وقد خرج منها نورٌ أضاء له قصور الشام». رواه الحاكم في مستدرَكه على الصحيح[١].

قوله: لَمُنجَدِل: أي: مختلِط؛ ويقال: ملقىً على الجدالة، وهي: الأرض. وقوله: دعوةُ إبراهيم: يعني: قولَه تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩] الآية. وقوله: وبشارة عيسى: يعني: قولَه تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصَّف: ٦].

ولا زال نورُه ﷺ ينتقِلُ من الأصلابِ الطاهِراتِ إلى الأرحامِ الزّاكياتِ إلى أن اتّصلَ بأبيه عبدِ الله بن عبدِ المطَّلِب. فلمّا تأهّلَ للزّواج زوَّجه من آمنة بنتِ وهب بن عبد مَناف بن زُهرة بن كِلاب، فلمّا تزوّجها ودخل بها حملَت بالنّبي ﷺ، فيقال: كان ذلك في يوم الاثنين من شهر رجب. وقال ابن الجزار[٢]: أيّام مِنى في شِعبِ أبي طالب عند الجمرة

---

(١) أخرجه أحمد في مسند العرباض بن سارية في مسند الشاميين برقم ١٧٢٨٠، ١٧٢٨١ (٥: ٨٤٣)، والحاكم في المستدرك (٢: ٤١٨ و ٢: ٦٠٠) وقال: صحيح ووافقه الذهبي، وابن حبان في صحيحه برقم ٦٤٠٤ (١٤: ٣١٢).

(٢) هو: أبو جعفر أحمد بن إبراهيم القيرواني. شيخ الطب. له: الأدوية المفردة، والتعريف بصحيح التاريخ. توفي سنة ٤٠٠هـ (سير أعلام النبلاء ١٥: ٥٦١).

الوسطى[١]. قال الحاكم أبو أحمد: وكان سِنُّ عبدِ الله إذ ذاك ثلاثين سنة[٢].

[حمل أُمّه به ﷺ]

فحملَت بالنّبي ﷺ آمنةُ، وكانت تقول: ما شعرتُ أنّي حملتُ به، ولا وجدتُ له ثقلًا كما تجدُ النّساء، إلا أنّي قد أنكرْتُ رفعَ حيضَتي، وربّما كانت ترفعني وتعود.

قالت آمنة: فأتاني آتٍ وأنا بين النّائمة واليقظانة فقال: هل أُشعِرتِ أنك حَملتِ؟ فكأنّي أقولُ: ما أدري، فقال: إنّك حملتِ بسيِّد هذه الأمّة ونبيِّها؛ ثمّ أمهلَني حتى إذا دنَت وِلادتي أتاني ذلك الآتي، فقال: قولي: أُعيذُه بالواحِد من شرّ كلِّ حاسِد، فإذا وضعتِه فسمّيه محمدًا، وآية ذلك أنه يخرجُ معه نورٌ يملأُ قصور بُصرى من أرض الشّام.

ويُروى: أنّ الله تبارك وتعالى لمّا أراد خلق نبيِّه محمد ﷺ في بطن أمّه، وكان ذلك في ليلة الجمعة من شهر رجب أمر في تلك الليلة رضوان خازن الجنان بأن يفتح أبواب الفِردوس، ونُوديَ في السّماواتِ والأرضِ بأنّ النّور المكنون المخزون الذي يكون معه النّبي الهادي في هذه الليلة يستقرّ في بطنِ أمّه الذي يتمّ خلقه، ويخرجُ إلى النّاسِ بشيرًا ونذيرًا.

---

(١) نقله عن «تاريخه»: ابنُ ناصر الدين في جامع الآثار (٢: ٧٥٨)، وهو منقول عن الزّبير بن بكار في الاستيعاب (١: ١٨) وعيون الأثر (١: ٧٩).

(٢) نقله عن « الكنى» له ابن ناصر الدين في جامع الآثار (٢: ٧٠٦).

ثمّ لمّا حملَت به بعثَ عبد المطّلب ابنَه عبدَ الله إلى غزّة من الشّام يمتارُ لهم طعامًا مع تُجّارٍ من قريش، فلمّا رجعوا مرِض عبد الله، فلمّا وصلوا إلى المدينة تخلّف عند أخوالِه بني عَدِيّ بن النّجّار، ثمّ مات بالمدينة وله ثلاثون سنة. ولمّا بلغت وفاتُه عبدَ المطّلبِ وجَدَ عليه وجَدًا شديدًا. والصَّحيح أنّ النبي ﷺ كان حمْلًا. وخلّف عبدُ الله جاريتَه أمَّ أيمن بركةَ الحَبَشيَّةَ وخمسة أجمال وقطعة غنم فورِث ذلك رسول الله ﷺ وكانت أمُّ أيمن تحضُنُه.

[تاريخ مولده ﷺ]

ووُلِد النَّبي ﷺ يوم الاثنين بلا خلاف، في شهر ربيع الأوّل على الصَّحيح، ليلة الثاني عشر منه على الأصحّ[١]، عام الفيل على المشهور[٢]،

---

(١) قال ابن ناصر الدين في جامع الآثار (٢: ٧٦١): وقيل: اثنتي عشرة [ليلة] خلت منه، وهو المشهور عند الجمهور، ولم يذكر ابنُ إسحاقَ غيرَه، وقاله ابن عباس وغيره، وذكره أبو محمد ابنُ حزم، وحكى ابن الجزّار الإجماعَ عليه، وفيه نظر. انتهى. إلا أنه نقل قبل ذلك أنه لثمانٍ خلون منه عن: عكرمة، وجبير بن مطعم، وابنه محمد، وابن عباس في إحدى الروايتين عنه، وأنه اختيار ابنِ حزم وجماعة، وقد قطع به أبو بكر الخوارزمي وابن فارس، وقال ابن دحية: وهو الذي لا يصحُّ غيرُه، ونقل عن أبي جعفر الطبري أنه صحّحه كثيرٌ من العلماء. انتهى. وهو أقرب الأقوال إلى ما أثبته محمود باشا فلكيًّا أنه في: التاسع من شهر ربيع الأول.

(٢) بل قال ابن ناصر الدين في جامع الآثار (٢: ٧٦٣): على الصحيح.

وذلك في وِلاية العادِل كِسرى أنو شروان سنة سبع عشرة منها، وسنة ثمان وسبعين وخمسمئة من رفع عيسى ﷺ إلى السّماء، وسنة تسعٍ وتسعمئة للإسكندر الرّومي ويقال إنّ ذلك بعد هبوط آدم عليه السلام بستة آلاف وثلاثٍ وأربعين سنة(١).

[إرهاصات مولده ﷺ]

قالت أمّه ﷺ: فلمّا فصَل منّي خرج معه نورٌ أضاء له ما بين المشرِق والمغرِب، ثمّ وقع على الأرض معتمِدًا على يديه جاثيًا على ركبتَيه رافعًا بصره إلى السّماء. قالت: ولدتُه نظيفًا طيّبًا ما به من قذَر ليس كما يولد السَّخل.

وروّينا عن عثمان بن أبي العاص عن أمّه فاطمة بنت عبد الله قالت حضرتُ ولادة رسول الله ﷺ فرأيتُ البيتَ حين وُضِع قد امتلأ نورًا، ورأيتُ النّجوم تدنو حتى ظننتُ أنّها تقعُ عليّ(٢).

وذكر بقيّ بن مخلَد في تفسيره(٣): أنّ إبليسَ رنَّ أربعَ رنّات: حين

---

(١) انظر أقوالًا أخرى غير هذه في جامع الآثار (٢: ٨٠٢).

(٢) أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة برقم ٧٣٥٨ (٢٤: ٣١١)، والبيهقي في الدلائل برقم ٢٩ (١: ٣٨) بنحوه.

(٣) حكاه السُّهيلي وأبو الربيع بن سالم الكلاعي وغيرهما، وقاله ابن ناصر الدين في جامع الآثار (٢: ٨٧٣). وأصله مسنداً عند أبي الشيخ في العظمة برقم ١١٢٤ (٥: ١٦٧٩) وأبي نُعيم في الحلية (٣: ٢٩٩).

لُعِن، وحين أُهبِط، وحين وُلِد النّبي ﷺ، وحين أُنزِلت فاتحة الكتاب.

ووُلِد النبي ﷺ معدودًا مسرورًا[١]، والمعدود: المختون، والمسرور: المقطوع السُّرّة، هذا هو الصّحيح عندنا، كما روّيناه مسنَدًا[٢] عن العبّاس عمّه رضي الله عنه.

وقيل: إنَّ جدّه ختنه يوم السّابع، وصنع مأدبةً، وسمّاه محمدًا. وقيل: إنَّ جبريل ختنه حين طهّر قلبه يوم شقَّته الملائكة وهو صغير.

ولمّا وُلِد خُتِم بخاتم النّبوة، ذكر ذلك ابن عابد[٣]، وحكاه عنه غير واحد. وسُمّي محمدًا فقيل سمَّته بذلك أمّه لمّا رأته وأُمِرَت به. وقيل بل جدّه؛ ويحتمل أن تكون آمنة أمّه لمّا أخبرت جدَّه بما رأته سمّاه بذلك.

وقال الإمام أبو القاسم السُّهَيلي[٤]: إنَّ ذلك لرؤيا رآها جدُّه، ذكر حديثها أبو الحسن القيرواني في كتابه البُستان، قال: كان عبد المطَّلب قد رأى في منامه كأن سلسلة من فضّة خرجت من ظهره، لها طرف في السماء

---

(١) انظر جامع الآثار (٢: ٧٤٧).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١: ١٠٣)، والبيهقي في الدلائل برقم ٣٢ (١: ٤١). وانظر نقده في جامع الآثار (٢: ٨٤٢- ٨٤٦).

(٣) هو: محمد بن عبد الله المعافري القرطبي. كان ثقة مَعنيًا بالآثار. توفي سنة ٤٣٩هـ. سير أعلام النبلاء (١٧: ٦١٤).

(٤) الروض الأنف (١: ١٨٢)، وأصله عند أبي نعيم في دلائله برقم ٥١ (١: ٩٩).

وطرف في الأرض وطرف في المغرب وطرف في المشرق، ثمَّ عادت كأنّها شجرة، على كلِّ ورقةٍ منها نور، وإذا أهل المشرق والمغرب يتعلَّقون بها؛ فقصَّها فعبِّرت بمولود [يكون من صُلبِه] يتبعه أهل المشرق والمغرب.

وكذا ما رآه جدّه، وهو ما فتح الله على أمَّته من البلاد من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب، وأن دينه ﷺ يمتدُّ ما بينهما أكثر من امتداده بين الجنوب والشّمال، وأنت تجد الأمر كذلك عيانًا.

وكذا ما رآه خالد بن سعيد بن العاص قبل المبعث بيسير، كأنَّ نورًا يخرج من زمزم حتى ظهرت له البُسْر في نخيل يثرب، فقصَّها على أخيه، فقال: إنها حفيرة عبد المطلب، وإنَّ هذا النور يكون منهم. وكان هذا السبب لمبادرته إلى الإسلام. فانظر كيف كان بدءُ النُّبوَّة بمكّة وظهورها بالمدينة يثرب.

وقالت أمّه ﷺ: لّما ولدته خرج من فرجي نورٌ أضاءت له قصور بُصرى من أرض الشّام. قلتُ: ولهذه لطيفة أخرى، وهو أن النبي ﷺ وصل بنفسه الكريمة إلى أرض بُصرى من الشّام مرَّتين، ولم يتجاوز ذلك، فكان إشارة إلى ذلك، والله أعلم. وما أحسن قول العبّاس عمّه رضي الله عنه مما أنشد فيه[1]:

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم ٤١٦٧ (٤: ٢١٣)، والحاكم في المستدرك (٤: ٣٩١).

وأنت لما وُلِدت أشرقت الـ ... أرضُ وضاءت بنورِكَ الأفقُ
فنحن في ذلك الضِّيا وفي النّـ ... نورِ وسُبُل الرّشاد نـخترقُ

ولما جاء البشيرُ إلى جدِّه عبد المطّلب بولادة آمنة سُرَّ بذلك عظيمًا، وقام هو ومن معه من أشراف قومه حتى دخل عليها وكانت قد وضعته تحت برمة ليكون جدُّه أوّل من يراه، وإذا البرمة قد انفلقت عنه، وإذا هو قد شقَّ بصره ينظر إلى السّماء، وأخبرت أمّه جدَّه بما رأت وما قيل لها، فأخذه وأدخله الكعبة، وقام عندها يدعو الله تعالى ويشكره على ما أعطاه، وقال في ذلك شعرًا مشهورًا. وأتت ثويبةُ جارية عمِّه أبي لهب فبشَّرته بأن قد وُلِد لأخيه عبد الله غلام، فأعتقها في الحال تلك الليلة ثمَّ جعلها تُرضِعُه بعد ولادته أيّامًا كما سيأتي.

وقد روي أنَّ أبا لهب بعد موته رؤيَ في النوم، فقيل له: ما حالك؟ فقال: في النار، إلا أنّه يُخفَّف عنّي كلَّ ليلة اثنين، وأمصُّ من بين أصبعي ماءً بقدر هذا وأشار إلى نقرة إبهامه وإنَّ ذلك بإعتاقي لثويبة عندما بشَّرتني بولادة محمد ﷺ وبإرضاعها له.

وقد بلغنا عن النبي ﷺ نكتة: إذا كان أبو لهب الكافر الذي نزل القرآن بذمّه جوزيَ في النّار بفرحهِ ليلة مولد النبي ﷺ، فما حال المسلِم الموحِّد من أمّة محمد ﷺ [الذي] يُسَرُّ بمولده ويبذُل ما تصِل إليه قدرته في محبَّته، لعمري إنما يكون جزاؤه من الله الكريم أن يدخلَه بفضله جنّاتِ النَّعيم.

[مكان ولادته ﷺ وبركته]

وكان مولدُه ﷺ بالشِّعب، وهو مكانٌ معروفٌ متواترٌ عند أهل مكَّة، يخرج أهلُ مكَّةَ كلَّ عام يومَ المولد ويحتفلون بذلك أعظمَ من احتفالهم بيوم العيد، وذلك إلى يومنا هذا.

وقد زُرتُه وتبرَّكتُ به عام حجّتي سنة اثنين وتسعين وسبعمِئة، ورأيتُ من بركته عظيمًا، ثمَّ كرَّرتُ زيارته في مجاورتي سنة ثلاثٍ وعشرين وثمانمئة، وكان قد تهدَّم فرمَّمْتُه، وقُرئَ عليَّ كتابي: التعريف بالمولد الشَّريف عليّ وسمعه خلقٌ لا يُحصَون، وكان يومًا مشهودًا[١].

[آياتُ مولده ﷺ]

وليلة مولده الشَّريف انشقَّ إيوان كِسرى حتى سمِع صوته وسقطت منه أربع عشرة شُرفة. وقد أخبرني بعض مَن رآه أنه انشقَّ طولًا في سقفه قدر ما يشبه ويقفره الشَّخص القويّ وهو باقٍ إلى اليوم آيةً من آياتِ الله تعالى. وخمدت نار فارس التي كانوا يعبدونها، ولم تخمد قبل ذلك ألفَ عام بل كانت تُضرَم ليلًا ونهارًا، ففي تلك الليلة خمدت في أقطار بلادهم ولم يقدروا على إيقادِها وتلك آية باهرة ومعجزة ظاهرة.

---

(١) وقال الحافظ ابن ناصر الدين: زُرتُ هذا المكانَ الشَّريف بحمدِ الله تعالى والمنَّة، وتبرَّكت به، لما حججتُ سنة أربع عشر وثمانمئة. (جامع الآثار ٢: ٧٥٢).

وغاضت بحيرة ساوه، وكانت بحيرة عظيمة في مملكة عراق العجم بين همذان وقم، تُركَب فيها السّفن ويسافَر بها إلى ما حولها من همذان والرّي وما جاور ذلك، وكانت أكثر من ستة فراسخ، فأصبحت من ليلة مولده الشّريف ناشفة يابسة كأنه لم يكن بها شيء من الماء، واستمرّت كذلك حتى بُنيَ في موضعها مدينة ساق الباقية إلى اليوم.

ورأى الـموبذان وهو عالم الفرس وقاضيهم أنّ الإبل تقود الخيل وقد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها، وذلك إشارة إلى ملك العرب تلك الدِّيار، وكذا كان، ورُمِيَت الشياطينُ بالشُّهُب الثّواقِب وكانت من قبل تسترِق السّمع، وحُجِبَ إبليسُ عن السّماء كما رويَ، ولعلَّه كان يصعَد يسترِقُ السَّمع أيضًا.

وروينا[1] عن حسان بن ثابت رضي الله عنه أنه قال: إنّي لَغُلام ابنُ سبع سنين أو ثمان أعقِل كلَّ ما سمعت، إذ سمعتُ يهوديًّا يصرُخُ على أطمة يثرب: يا معشر يهود، حتى إذا اجتمعوا إليه قالوا له: ويلك، ما لك؟ قال: طلع الليلة نجمُ أحمد الذي وُلِد به.

---

(١) أخرجه ابن ناصر الدين عن مسند الثِقلَين لأبي محمد دعلج بن أحمد بن دعلج بسنده. (جامع الآثار ٢: ٨٣١- ٨٣٢). وهو في مسند إسحاق كما في إتحاف الخيرة برقم ٦٣١٥ (٧: ٣) وفي المطالب العالية برقم ٤٢٠٥ (٧: ١٧٥) وهو في دلائل البيهقي برقم ٢٨ (١: ٣٧) وأصله مرويٌّ عن ابن إسحاق في سيرته (١: ٦٢).

ورويَ عن عكرمة رضي الله عنه أن نفرًا من قريش مرّوا بجزيرة من جزائر البحر، فإذا شيخ من جُرهُم، فقال: ممّن أنتم؟ فقالوا: نحنُ من أهل مكّة من قريش، فقال الشيخ: ذات يوم لقد طلع الليلة نجم، لقد وُلِد فيكم نبي. قال: فنظروا فإذا النبي ﷺ وُلِد تلك الليلة.

[رضاعُه ﷺ]

ولمّا وُلِد ﷺ أرضعته أمُّه سبعة أيّام، ثم أرضعته ثُوَيبة الأسْلَمية مولاة أبي لهب أيّامًا كما قدّمنا، وأرضعتْ معه أبا سلمةَ عبدَ الله بنَ عبدِ الأسَد المخزومي بلبنِ أبي مسروح وهي أمُّ عمِّه حمزةَ من الرَّضاعة. وكان النّبي ﷺ يبعث إليها من المدينة بصِلَة وكسوة حتى توفيت. واختُلِف في إسلامها.

ثمَّ أرضعتهُ أمُّ كبشة حليمة بنت أبي ذؤيب السَّعديّة، فجاء عنها أنها قالت: لما وضعتُه في حِجري أقبل عليه ثدياي بما شاء [الله تعالى] من اللبن، فشرب حتى رَوِيَ وشرب معه أخوه حتّى رَوِيَ وناما، وما كان أخوه ينام قبل ذلك وما كان فيَّ ما يرويه ولا في شارفنا[١] ما يغديه، فقام زوجي إلى شارفنا تلك، فنظر إليها فإذا هي حافل باللبن، فحلب منها وشرِب وشربْتُ حتى انتهينا شبعًا وريًّا، فبِتنا بخير ليلة ببركته ﷺ.

---

(١) قال ابن الأثير في النهاية (٢: ١١٤٢): الشارف: الناقة المسِنّة.

قالت حليمة: وكان رسول الله ﷺ يشبّ في اليوم شباب الصبي في الشّهر[١].

وردَّتْهُ إلى أمِّه وهو ابن خمس سنين وشهر على الأصح، وبقيت حليمة حتى قدِمت على رسول الله ﷺ بمكّة وقد تزوّج خديجة رضي الله عنها، فشكت جدب البلاد فكلّم ﷺ لها خديجة، فأعطتها أربعين شاةً وبعيرًا، فانصرفت إلى أهلها. وقد اختُلِف أيضًا في إسلامها، فذكرها جماعة[٢] في الصحابة، وكذلك اختُلِف في إسلام زوجها.

وحضَنَته أمُّ أيمن بركةُ الحبشية مولاتُه مع أمِّه وبعدها كما قدَّمنا، وكانت تقول: ما رأيتُ رسول الله ﷺ شكى جوعًا قطُّ ولا عطشًا، وكان يغدو إذا أصبح فيشرب من ماء زمزم شربة، فربّما عرضنا عليه الغداء فيقول: أنا شبعان.

ولما أكمل ستَّ سنين توجَّهت أمُّه مع حاضنته أمّ أيمن إلى المدينة

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم ٦٣٣٥ (١٤: ٢٤٣-٢٤٩)، وتكلّم في تخريجه ابن ناصر الدين في جامع الآثار (٢: ٩٦٠-٩٦٢).

(٢) الذين ذكروها من الصحابة كثير: كالحافظ أبي بكر بن أبي خيثمة، والطبراني، وابن منده، وأبي نعيم، وابن الجوزي، وابن عبد البر، وأبي عامر العبدري، والمنذري، ومغلطاي وألّف فيها جزءًا. انظره تفصيلًا في جامع الآثار (٢: ١٠٦٥-١٠٧٠).
وممن جزم من المتأخرين بأنها لم تُسلِم الحافظ أبو محمد الدمياطي.

لزيارة أخوال أبيه بني النَّجّار فأقاموا شهرًا، فرجعوا فلمّا كانوا بالأبواء ماتت أمُّه، فدخلت به أمُّ أيمن مكّة، فضمَّه عبد المطَّلب إليه، وكان يرِقُّ عليه ويُعلي منزلته ويقول: إنَّ لوَلدي هذا شأنًا. ولَمّا حضرته الوفاة أوصى أبا طالب بحفظِ رسول الله ﷺ، ومات وللنّبي ﷺ ثمانِ سنين.

ولَمّا صار له ﷺ اثني عشر سنة راح مع عمِّه أبي طالب إلى الشّام حتى بلغ بُصرى، فرأى بَحِيرا الراهب فعرفه بصفته، فجاء وقال: هذا سيِّد العالمين ورسول الله. فقيل: من أين علمت؟ قال: إنكم حين أقبلتم من العقبة لم يبقَ حجرٌ ولا شجر إلا خرَّ له ساجدًا ولا يسجُدان إلا لنبي، وإنّا نجده في كتبنا، وأمر أبا طالب أن يردَّ به من بُصرى خوفًا عليه من اليهود، فرجع به عمُّه، ولم يتجاوز بُصرى.

[زواجُه ﷺ من خديجة]

وحين بلغ خمسًا وعشرين سنة خرج مرّةً ثانية إلى الشّام مع ميسرة غلام خديجة رضي الله عنها في تجارة لها، فلمّا وصل إلى بُصرى نزل تحت ظلِّ شجرة قريبًا من صومعة نسطورا الرّاهِب، فقال: ما نزل تحت هذه الشّجرة قطُّ إلا نبيّ. ثمَّ قال لميسرة: أفي عينه حُمرة؟ قال: نعم، قال: لا تفارقه، هو النّبيّ، وهو آخرُ الأنبياء. ورجع ﷺ من بُصرى، وكان ميسرة إذا اشتدَّ الحرّ يرى ملَكَين يُظِلّان رسول الله ﷺ من الشَّمس، فباعوا

تِجارتَهم وربحوا ضِعفَ ما كانوا يربحون. فلما رجعوا ودخل النبي ﷺ مكّة رأتهُ خديجة والملَكان يُظِلانه، فأرته نساءً لها وأخبرها النّبي ﷺ بالرِّبح وأخبرها غلامُها بما رأى وبما أخبر به الرّاهِب نسطورا، وذلك كان باعث خديجة رضي الله عنها في تزوُّجِها به، فتزوَّجها وقد كمُل له خمسٌ وعشرون سنة.

ولمّا بلغ خمسًا وثلاثين سنة بنَت قريش الكعبة، وذلك أنَّ بابها كان بالأرض، وكان السَّيل يدخله فانصدع، وسُرِق طِيب الكعبة، فلمّا انتهوا في البناء إلى حيث يوضَع الرُّكن من البيت إلى الحجر الأسود اختلفوا، وقالت كلُّ قبيلة: نحنُ أحقُّ بوضعه، حتّى همّوا بالقتال، ثمَّ اتفقوا على أن يجعلوا بينهم أوّلَ مَن يدخل من باب بني شيبة حكمًا يقضي بينهم، فكان ﷺ أوّل من دخل، فلمّا رأوه قالوا: هذا الأمين قد رضينا بقضائه، ـ وكانوا قبل النّبوّة يدعونه بالأمين ـ فأخبروه فوضع ﷺ رداءه وبسطه على الأرض ثمّ وضع الرّكن وقال: لتأخذ كلُّ قبيلة بطرفٍ من الثّوب ثمّ ارفعوه جميعًا، فلمّا بلغوا موضعه وضعه النبي ﷺ بيده الكريمة.

[بعثته وإسراؤه ﷺ]

ولمّا كمُل له أربعون سنة بعثه الله إلى الخلق أجمعين، فكان أوّل ما بدئ به من الوحي الرؤيا الصالحة في النّوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصُّبح، ثمَّ حُبِّبَ إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حِراء يتعبَّدُ فيه

الليالي حتى جاءه الحقُّ وهو بالغار، وأُنزِلَت عليه سورة اقرأ، وكانت هذه الرُّؤيا ستة أشهر.

وكان أوّل من آمن به من النِّساء خديجة، ومن الرِّجال أبو بكر، ومن الصِّبيان عليّ وله عشرُ سنين، ومن الموالي زيدُ بن حارثة، ثمّ عثمان والزُّبير وابن عوف وسعد بن أبي وقّاص وطلحة بدعاءِ أبي بكر إيّاهم إلى الإسلام رضوان الله عليهم أجمعين.

ومات عمُّه أبو طالب في السَّنة العاشرة من البِعثة، وماتت بعده خديجة رضي الله عنها بثلاثة أيّام، فنال النبيُّ ﷺ من قريش ما لم ينله في حياته.

ثم أُسريَ بجسدِه[1] ﷺ في السَّنة الثانية عشر من النّبوَّة، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثمَّ عُرِج به إلى السّماء العليا، فرأى آدم ﷺ في الأولى، ويحيى بن زكريا وعيسى بن مريم في الثانية، ويوسف في الثالثة، وإدريس في الرّابعة، وهارون في الخامسة، وموسى أو إبراهيم في السّادِسة، وإبراهيم أو موسى في السابعة على اختلاف الرِّوايتَين في الصَّحيح وصوابُه أنَّ إبراهيم في السّابعة، ثمَّ انتهى إلى سِدرة المنتهى إلى مستوىً سمع فيه صريف الأقلام.

---

(١) قال ابن ناصر الدين: وكان الإسراء بجسد رسول الله ﷺ يقظةً على الصحيح. (جامع الآثار ٢: ١٦٣٤).

وفُرِضَ عليه وعلى أمَّته الصّلاة، وذلك ليلة سبعٍ وعشرين من شهر رجب وصحَّحه جماعة، أو سبع عشرة من شهر ربيع الأول أو من شهر رمضان على اختلاف في ذلك، وله ثِنتان وخمسون سنة. فلمّا أصبح من تلك الليلة أخبر قريشًا فكذّبوه، وارتدَّ جماعة ممَّن كان أسلم. وسأله المشركون أمارةً فأخبرهم بالعِير وأنَّهم يقدُمون يوم الأربعاء، فلما كان ذلك اليوم لم يقدموا حتّى كادت الشَّمسُ أن تغرُب، فدعا الله تعالى فحبس الشّمس فكان كما وصف.

[هجرته ﷺ]

ثمَّ أذِن النّبي ﷺ لأصحابه في الهجرة إلى المدينة، فقدم مَن أسلم على يده من الأنصار، وهاجروا في السنة الثالثة عشر من النّبوّة. وأذِن الله تعالى للنبي ﷺ أن يهاجِر، وأمره جبريل ﷺ أن يستصحِب أبا بكر الصّدّيق رضي الله عنه، فخرجا وبقيا في غار ثور ـ جبلٍ بأسفل مكّة ـ ثلاثًا، أي أيامًا ثلاثة أو أكثر، فأمر الله تعالى العنكبوت فنسج على بابه، وأمر حمامتين وَحْشيتَين فعشعشتا على بابه[١]، ثمَّ خرجا من الغار والنبي ﷺ على ناقته الجذعاء، فتعرَّض لهما سُراقة بن مالك، فدعا النبي ﷺ فساخت قوائم فرسه بالأرض، فطلب الأمان فأُطلِق.

---

(١) وذكر السُّهيلي عن البزار في مسنده أن حَمام الحرم من نسل حمامتَي الغار. (الروض الأنف ٢: ٢٣٢).

[النبيّ ﷺ في المدينة]

ودخل ﷺ المدينةَ يوم الاثنين الثامن أو الثاني عشر من شهر ربيع الآخر، وذلك في الرابع من تير ماه من شهور الفرس، والعاشر من أيلول من شهور السّريان؛ وله ﷺ ثلاثٌ وخمسون سنة. وكانت أوّل كلمة سُمِعت منه: «أفشوا السّلام، وأطعموا الطّعام، وصِلُوا الأرحام، وصلّوا بالليل والناس نِيام، تدخلوا الجنّة بسلام»[١].

وفي ثاني عشر ربيع الآخر زِيد في صلاة الحضر، وبُنِي مسجدُه ﷺ على جِذعٍ في المسجد حتى عُمِلَ له مِنبَر بثلاثِ درجات، فلمّا خطب عليه حنَّ عند ذلك الجِذعُ وخار كالبقرة، فنزل ﷺ واحتضنه حتى سكن، وقال: «لو لَمْ ألتزِمه لحنَّ إلى يوم القيامة»[٢]. وكان اتّخاذُ المنبر في سنة سبع.

وأُرِيَ عبدُ الله بنُ زيد الأذانَ عندما استشار النبي ﷺ أصحابه فيما يجمعهم به للصلوات. وفُرِضت الزّكاة على النِّصاب الشَّرعي، وكذلك فُرِض الجهاد. وفي يوم الثلاثاء النِّصف من شعبان للسَّنة الثانية من الهجرة تحوَّلت القِبلة من جهة بيت المقدِس إلى جهة الكعبة. وفُرِض الصَّوم في أواخر

---

(١) أخرجه التّرمذي، كتاب: صفة القيامة، برقم ٢٤٥٨ (٤: ٦٠٩).

(٢) أخرجه أحمد برقم ٢٢٣٦ (١: ٢٤٩)، وابن ماجه، كتاب: إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: ما جاء في بدء شأن المنبر برقم ١٤١٥ (١: ٤٥٤).

شعبان، وكانت وقعة بدر في يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان. وفي الثامن والعشرين منه فُرضَت زكاة الفِطر. وحُرِّمت الخمر في شوال من السَّنة الثَّالثة، ووُلِد الحسن بن عليّ رضي الله عنهما. وفي السَّنة الرَّابعة نزلت آية التتميم[1]، ووُلِد الحسين بن علي رضي الله عنهما.

وفي السَّنة الخامسة [فُرِضت] صلاةُ الخوف، أو في السَّنة التي قبلَها. وكانت غزوة الحُدَيبية، وهي قريب من مكة مستهلّ ذي القِعدة سنة ستّ، وكانوا ألفًا وأربعمئة فبايعوا النبيَّ ﷺ بيَعة الرِّضوان تحت الشَّجرة.

وفي سنة سبع كانت عُمرة القضاء مستهلّ ذي القِعدة أيضًا، وكان ﷺ في ألفَين، وساقَ من المدينة ستين بَدَنة فنحرَها، وأقام بمكّة ثلاثة أيّام ورجعوا. ثمَّ فتح الله مكّة في شهر رمضان سنة ثمان، لِنقض قريشٍ العهدَ، وطاف ﷺ بالبَيت يوم الجمعة العشرين من شهر رمضان وحوله ثلاثٌ وسبعون صنَمًا، وكان مرَّ بصنمٍ أشار إليه بقضيب قائلًا: جاء الحقُّ وزهق الباطِل إنَّ الباطل كان زهوقا، فيقع الصَّنم لوجهه.

---

(١) في الأصل التتميم. ولعل المقصود قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، فإن كان كذلك فقد نزلت هذه الآية في السنة السادسة وليس في السنة الرابعة، وكذلك لو كانت (التيمم) فقد نزلت آيته إثرَ غزوة بني المصطلق في السنة السادسة. أما ولادة الحسين عليه السلام فإنها في السنة الرابعة على الصواب.

وفُرِض الحجُّ في سنة تسع على الصَّحيح، وقيل: سنة ستّ، وقيل: سنة سبع، وتتابعت الوفود على النبي ﷺ بالإسلام، وحجّ بالنّاس أبو بكر الصِّديق رضي الله عنه ببراءة أن ينبذ كل ذي عهد لعهده، وأن لا يحجَّ بعد العام مُشرِك، ولا يطوف بالبيت عُريان، فلما نزل البقيع أدركه عليّ كرم الله وجهه بالعضباء[1]، وكان حجُّهم ذلك العام في ذي القِعدة.

[حجُّه ﷺ ووفاته]

وحجَّ النبي ﷺ بالنّاس حجَّة الوداع وتُسمّى حجةَ الإسلام، فخرج النبي ﷺ من المدينة لخمسٍ بقين من [ذي] القِعدة سنة عشرٍ ومعه سبعون ألفًا، ويقال: مئة ألف.

ودخلت سنة إحدى عشرة، ففي يوم الأربعاء آخر صفر بدأ بالنّبي ﷺ وجعه، فحُمَّ وصدع، ثم أمر أبا بكر رضي الله عنه أن يصلي بالنّاس. وبقِيَ تلك الجمعة في وجعه، وأفاق يوم الاثنين الخامس من شهر ربيع الأوّل، وفي الأحد اشتدَّ وجعه ﷺ، وتوفي ﷺ يوم الاثنين بلا خلاف، وكان الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشر، شهيدًا، حين بزغت الشّمس، وقيل: حين اشتدّ الضحى، وله ثلاثٌ وستون سنة، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله.

---

(١) هي ناقة رسول الله ﷺ.

[فصلٌ في صفته ﷺ]

كان عليه أفضل الصلاة والسّلام أكمل النّاس خَلقًا، وأجملَهم ذاتًا، تامَّ المَلاحة، مكمَّل الجمال، وضيء الوجه نيِّرَه، ربعة معتدِل القامة، لا بالطول البائن ولا بالقِصَر، ذا بهاءٍ وهَيبة، أبيض اللون أزهر مُشْرَبًا بالحُمرة، أزجَّ الحاجبَين وهو: تَقَوّسٌ في الحاجب مع طولٍ يكون في طرفه امتداد. أفلج الأسنان وهو: تباعد ما بين الثنايا والرباعيات وذلك بخلاف المتراصّ الأسنان. أشنَب، والشَّنَب: البياض والبَريق في الأسنان، ويُقال: برد الأسنان وعذوبتها: يراد به عذوبة الفم، ويقال: حِدَّتها ويراد به طراوتها.

ضليع الفم: أي عظيمه وواسعه وذلك دالٌّ على القوّة والشّجاعة، سهل الخدَّين: أي غير رابيتين ولا كثيرَي اللحم فإنّه يدلُّ على العجز واللؤم. أدعج العينَين أشكلُها، والدَّعَج: شِدّة سواد العَين مع سِعَتها، والشَّكَل: حُمرة في بياض العين.

وهو محبوب محمود أهدب أي: طويل أشفار العَين، واسِع ما بين الحاجبين. أقنى العرنين للأنف، وقنا الأنف: طوله ودِقَّة أرنبَتِه مع حدَب في وسَطِه، وهو مدح في الرِّجال، دالٌّ على كمال خِلقَتِه، وعَيبٌ في الخَيل.

بعيد ما بين المنكبَين، المنكِب: مجتمَع عظم العضُد والكَتِف، وهو غاية في كمال المحاسِن. بسيط الكَتِفَين أي: واسعها، وهو الذي في أنامِله

غِلَظ، وهو يُحمَد في الرِّجال دون النِّساء. ضخم الرَّأس والقدَمَين. منهوسُ العَقِبَين، أي: قليل لحم العَقِب. لم يتجاوز شعره شحمة أُذُنَيه. توفي ﷺ ولم يبلُغ في شَيبِه عشرين شعرة.

بين كَتِفيه خاتَم النُّبُوّة، قال السّائب بن يزيد: رأيتُ خاتَم النُّبُوّة بين كَتِفَيه مثلَ زرِّ الحَجَلة، رواه البخاري ومسلم[١]. والحجَلة: بيتٌ من ثيابٍ كالقُبَّة لها أزرار كِبار وعُرىً، تُسمّى اليوم بشخانة.

وفي صحيح مسلم[٢] عن جابر بن سَمُرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ قد شمِط مُقَدَّم رأسه ولحيته، وكان إذا ادّهن لم يتبيّن وإذا شَعِث رأسُه تبيّن، وكان كثير شعر اللحية، فقال رجل: وجهُه مثل السَّيف؟ قال: لا، بل مِثلَ الشَّمسِ والقمر، وكان مستديرًا، ورأيتُ الخاتَم عند كَتِفِه مثلَ بيضة الحمامة، يشبه جَسَدَه. وشَمِط ـ بكسر الميم ـ: أي ابتدأ به الشَّيب، وشَعِث رأسُه: أي تفرّق شعره، وهو بكسر العين.

وروينا في الصَّحيحَين[٣] عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الوضوء، باب: استعمال فضل وضوء الناس برقم ١٨٧ (١: ٨١ – ط البغا) وفي مواضع متعددة، ومسلم في كتاب: الفضائل، باب: إثبات خاتم النبوة برقم ٦٠٤٠ (١٥: ٩٧- ط المعرفة).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: شيبه ﷺ برقم ٦٠٣٧ (١٥: ٩٦- ط المعرفة).

(٣) أخرجه البخاري في المناقب، باب: صفة النبي ﷺ برقم ٣٣٥٤ (٣: ١٣٠٢)، ومسلم في الفضائل، برقم ٦٠٠٨ (١٥: ٨٥- المعرفة).

الله ﷺ أزهر اللون، كأنَّ عرَقَه اللؤلؤُ، إذا مشى تكفّأ، ولا مَسِسْتُ ديباجةً ولا حريرةً ألْيَنَ من كَفِّه، ولا شَمَمتُ مِسكًا ولا عنبرةً أطيب من رائحته. وقد روّينا هذا الحديث مسلسلاً بالمصافحة[١].

[فصلٌ في خُلُقِه وشيمته ﷺ]

سُئِلَت عائشةُ رضي الله عنها: كيف كان خُلُق رسول الله ﷺ؟ فقالت: كان خُلُقه القرآن، يرضى لما يرضاه، ويغضب لما يغضبه[٢]. وكان أشجع النّاس، قال عليٌّ كرّم الله وجهه: كُنّا إذا حَمِيَ البأس وكفى القومُ القومَ اتّقينا برسول الله ﷺ[٣]. وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: فُضِّلتُ على النّاس بأربعة: السماحة، والشَّجاعة، وكثرة الجماع، وكثرة البطش[٤].

وعن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أكرم الناس، ما سُئِل قطُّ شيئًا فقال لا[٥]. وعن أنس رضي الله عنه أن رجلًا سأل النّبي

---

(١) انظر جياد المسلسلات (ص١٣٤)، ومسلسلات ابن عقيلة (ص٦٢).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط برقم ٧٢ (١: ٣٠)، والبيهقي في شعب الإيمان برقم ١٤٢٨ (٢: ١٥٤).

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه (٢: ١٤٣) وقال صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧: ٤٩)، ووثق الهيثمي رجاله (٨: ٢٦٩).

(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم ٢٧٩، ومسلم كتاب: الفضائل، باب: ما سئل رسول الله ﷺ شيئًا قط، فقال: لا، برقم ٥٩٧٢ (١٥: ٧١).

ﷺ غنمًا بين جبلَين فأعطاه إيّاه، فأتى قومَه فقال: أيْ قومِ أسلِموا، فوالله إنَّ محمدًا يُعطي عطاءَ من لا يخاف الفقر[١].

وكان ﷺ أحلم النّاس، سُئل الدّعاء على قومٍ من الكُفّار فقال: إنّما بُعِثتُ رحمةً ولم أُبعَث عذابًا[٢]. ولمّا كُسِرت رَباعيته وشُجَّ رأسُه فقال: اللهم اغفر لقَومي فإنّهم لا يعلمون[٣].

وكان أشدَّ حياءً من العذراء في خِدرِها، ولا يثبُتُ بصرَه في وجهِ أحد. قالت عائشة رضي الله عنها: ما أتى أحدًا من نسائه إلا متقَنّعًا يُرخي الثّوب على رأسه، ولم أرَ منه ولا رأى مِنّي[٤].

وكان لا ينتقم لنفسه ولا يغضَب لها إلا أن تُنتَهَك حُرُمات الله، وإذا غضِب لم يقُم لغضبه أحد، وما خُيِّر بين أمرَين إلا اختار أيسَرَهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعدَ النّاس منه.

وما عاب طعامًا قطّ، إن اشتهاه أكل وإلا تركه، وكان لا يأكل

---

(١) أخرجه مسلم كتاب: الفضائل، باب: ما سئل رسول الله ﷺ شيئًا قط فقال: لا، وكثرة عطائه برقم ٥٩٧٤، ٥٩٧٥ (١٥: ٧٢-المعرفة).

(٢) أخرجه مسلم عن أبي هريرة في كتاب: البر والصلة، باب: النهي عن لعن الدواب وغيرها برقم ٦٥٥٦ (١٦: ٣٦٦- المعرفة).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب: إذا عرض الذمي بسب النبي ﷺ برقم ٦٥٣٠ (٦: ٢٥٣٩- البغا).

(٤) أخرجه أبو الشيخ قال في جامع الآثار: وإسناده واهٍ (٤: ٢٠٢٥).

متكِئًا ولا على خوان وخُبزٌ له مُرقَق. وأكل البِطِّيخ بالرُّطَب والقِثّاء بالرُّطب وقال: يُنسي حرّ هذا بردَ هذا. وكان يحِبُّ الحلو والعسل، وأحبُّ الشّراب إليه الحلوُ البارِد.

قال أبو هريرة[١] رضي الله عنه: خرج من الدنيا ولم يشبع من خبز الشَّعير، هو ولا أهلُ بيته. وكان يأتي عليه الشهر والشَّهران لا يوقَد في بيتٍ من بيوته نار. وكان قوتُهم الماء والتَّمر.

وكان أكثر النّاسِ تواضُعًا، يَخصِف نعلَه، ويرقَع ثوبَه، ويخدِم في مِهنة أهله، ويحلِب الشّاة، ويعودُ المريض، ويجيب من دعاه من غنيٍّ أو فقير، ويحبُّ المساكين، ويشهد جنائزهم، ويعود مرضاهم، ولا يَحقِرُ فقيرًا لفَقره، ولا يهابُ مِلكًا لُملكِه، ولم يقابِل أحدًا بما يكره قطّ، يقبل معذِرة المعتذِر إليه. وكان يركب البغلة والحمار ويُردِف خلفَه، وكان لا يدَعُ أحدًا يمشي خلفه، ويقول: خلّو ظهري للملائكة[٢].

وأصابه يوم الخندق جهدٌ فعصب على بطنه الحجر من الجوع مع ما آتاه الله تعالى من مفاتيح خزائن الأرض. وكان يُكثِر الذِّكر ويُقِلُّ اللغو، ويطيل الصلاة ويقصر الخُطبة، ولا يستنكِفُ أن يمشيَ مع الأرملة والعبد،

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الأطعمة، باب: ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون برقم ٥٠٩٨ (٥: ٢٠٦٦ - البغا).

(٢) أخرجه أحمد في مسند جابر برقم ١٥٣٥٥ (٥: ٢٧١ - ٢٧٣ - عالم الكتب).

ويحِبُّ الطِّيب ويكرهُ الرّيح الكريهة. وكان يؤلف أهل الشّرف، ويُكرِم أهل الفضل، ويرى اللعِب المباح فلا ينكره، ويمزح ولا يقولُ إلا حقًا.

[فصل في ذكر شيءٍ من مُعجِزاته ﷺ]

أعظمها القرآن كلام الله تعالى المتلوّ آناء الليل والنّهار، وقد أعجز الجِنَّ والإنس فلا يقدرون على أن يأتوا بسورةٍ من مثله بل ولا آيةٍ. وكانت معجزات الأنبياء عليهم السلام انقطعت بموتهم إلا معجزته ﷺ. وانشقَّ له القمر كما نطق به القرآن وصحَّ من طُرُق، وكلّمه الضّبّ كما رواه الحاكم في صحيحه[١].

وأخبرَنا أنَّ خزائنَ كِسرى تنفقها أُمّته في سبيل الله تعالى، وأنَّ مُلك كِسرى والرّوم يُفتَح فكان كذلك، وأنَّ المسلمين يقاتلون قومًا صِغار الأعين عِراض الوجوه دلف الأنوف أي: فطسها، وأنَّ الشّام واليمن تُفتحان، وأنَّ أُمّته تَفتَح أرضًا يُذكَر فيها القيراط. وأنَّ أويسًا القرنيَّ رضي الله عنه يقدُمُ من اليمن وكان به برص فبرِئَ إلا قدْر دِرهم. وهاجت ريحٌ شديدةٌ فقال: هذه الرّيح لموت منافِق[٢]، قال جابر: فقدِمنا المدينة فوجدنا عظيمًا من المنافقين قد مات. وأكل من شاةٍ لُقمة، ثم قال: هذه تُخبرني أنها أُخِذت

---

(١) قال في كنز العمال (برقم ٣٥٣٦٤): أخرجه الحاكم في المعجزات، ولم أجده في المستدرك، وأخرجه الطبراني في الأوسط برقم ٥٩٩٦ والصغير (٢: ٦٤).

(٢) أخرجه مسلم كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم برقم ٦٩٧٢ (١٧: ١٢٥).

بغير إذنِ أهلها[١] فإذا هو كما قال. وتحرَّك الجبل فقال: اسكنْ فإنّما عليك نبيٌّ وصِدّيق وشهيدان[٢] فسكَن، وكان هو أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.

وفي صحيح مسلم[٣]: إنَّ الله تعالى زوى ليَ الأرض فرأيتُ مشارِقها ومغارِبها وسيبلغ مُلكُها ما زُويَ لي منها. وفي البخاري[٤]: نبع الماء من بين أصابعه بالحدَيبية فشربوا وتوضّؤوا وهم ألفٌ وثلاثمئة، ومرَّةً ما بين السَّبعين إلى الثمانين. وحديث المزادتين[٥] قال عمر: إنّا شرِبنا منها ونحن نحو الأربعين فلم ينقصنا.

وسبّح في كَفِّه الحصى، وكذلك الطَّعام كان يُسمَع تسبيحه وهو يؤكَل، وسلَّم عليه الحجر، وشهِد الذِّئب بنبوَّته، ومرّ ببعير يُستقى عليه الماء فلمّا رآه جرّ جرًّا أي: صوّت فقال لصاحبه: إنّه اشتكى أنك تُجيعه[٦]، وسجد له بعيران عجز عنها صاحبُها من شِدّتها، وجاءت شجرة تشُقّ

---

(١) أخرجه أبو داود في البيوع باب: في اجتناب الشبهات برقم ٣٣٣٤ (٣: ٢٤٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: فضائل الصحابة، باب: قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلًا» برقم ٣٤٧٢ (٣: ١٣٤٤ - البغا).

(٣) أخرجه مسلم في الفتن باب هلاك هذه الأمة برقم٧١٨٧ (١٨: ٢٢١).

(٤) أخرجه البخاري في الوضوء باب التماس الوضوء برقم ١٦٧ (١: ٧٤).

(٥) أخرجه البخاري في التيمم، باب: الصعيد الطيب وضوء المسلم برقم ٣٣٧.

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢: ٩٩- ١٠٠).

الأرض حتى قامت عنده وهو نائم فسلّمت عليه. وأمر شجرتين فاجتمعتا حتى قضى حاجته خلفهما ثم أمرهما فتفرّقتا، ودعا غدقًا فنزل من غدقه حتّى سقط في الأرض فجعل ينقر في الأرض حتى أتاه ثم قال له: ارجع فرجع مكانه، وأمر بنحر ستّ بدنات فجعلن يزدلِفن إليه بأيّتهنّ يبدأ.

وأصيبت عينُ قتادة بنِ النُّعمان يوم أُحُد حتّى وقعت على وجنته فردَّها ﷺ بيده وكانت أصحَّ عينَيه وأحدّهما وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى، وتفلَ في عين عليٍّ كرّم الله وجهه يوم خيبر وكان أرمد فبرئ من ساعته، وأتاه وهو شاكٍ فدعا له فما اشتكى وجعه ذلك، وكُسِرت رِجل عبد الله بن عسل فمسحها فبرئت من وقته وأخبر أنّه يَقتُل أميّة بن خلف فكان كما قال. وأخبر بمصارِع المشركين ببَدر فقال[1]: هذا مصرَع فلان هذا مصرع فلان غدًا إن شاء الله تعالى، فلم يعدُ واحدٌ مصرَعه الذي سمّاه. وأنَّ طوائف من أُمّته يركبون البحر غزاةً في سبيل الله كالملوك على الأسِرّة، وأنَّ أمّ حرام خالة أنسٍ بن مالك رضي الله عنهما معهم فكان كذلك.

وأخبر أنَّ عثمان تُصيبه بلوى فيُقتَل صَبْرًا، وقال للحسن رضوان الله عليه: بُنَيَّ هذا سيِّدٌ ويُصلِح الله به بين فِئتَين عظيمتين من المسلِمين[2]،

---

(١) أخرجه مسلم كتاب: الجهاد، باب: غزوة بدر برقم ٤٥٩٧ (١٢: ٣٣٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب الحسن والحسين برقم ٣٥٣٦ (٣: ١٣٦٩ - البغا).

فسلَّم الأمرَ لمعاوية. وأخبر بقتل الأسود العنسي الكذّاب ليلة مقتله ومن قتله وهو بصنعاء من اليمن فكان كما قال. وأخبر بمِثل هذا عن كِسرى وكان كذلك.

وقال لرجلٍ يدَّعي الإسلام وهو في القِتال معه: إنّه من أهل النّار فصدَّق اللهُ قولَه بأنّه نحر نفسَه[١]. وشكى إليه قُحوط المطر وهو على المنبر فدعا الله تعالى وما في السماء قزعة أي قطعة سحاب، فثار السّحاب أمثال الجِبال، فمُطِروا إلى الجمعة الأُخرى، فشُكِيَ إليه كثرة المطر فدعا الله فرفعَه في الحال.

وأطعم أهل الخندق من قرص الشعير، وأطعم الجماعة من تمر يسير لم يملأ كفَّه، وأطعم في منزل أبي طلحة ثمانين رجلًا من أقراص شعير جعلها أنس رضي الله عنه تحت إبطِه حتّى شبِعوا وبقي كما هو. وأمر عمر رضي الله عنه أن يُزوِّد أربعَمئة راكبٍ من تمرٍ قليل فزوَّدهم وبقي كأنّه لم ينقص، وأطعم الجيش من مَن مِزْوَدِ أبي هريرة حتّى شبِعوا ثمّ ردَّ ما بقِيَ منه، وكان وضعه في يده ودعا له فأكل منه مدّة حياة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فلمّا قُتِل عثمان ذهب وحمل منه خمسين وسقًا في سبيل الله تعالى. وأطعم في بنائه بزينب بنت جحش رضي الله عنه من قصعة أهدتها أم سُلَيم رضي الله عنها خلقًا كثيرًا. ثمّ رُفِعت وهي كما كانت.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب القدر، باب: العمل بالخواتيم برقم ٦٢٣٢ (٦: ٢٤٣٦- البغا).

واصطفاه الله تعالى بالمحبّة والخُلّة والقُرب والدُّنوّ والمِعراج، والصلاة بالأنبياء عليهم السّلام، وبالشّهادة، ولواء الحمد، والوسيلة، والبشارة والنِّذارة، والهداية والأمانة، والرحمة للعالمين، وإعطاء الكوثر، والرِّضا وإتمام النِّعمة، ومغفرة ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، وشرح الصّدر ووضع الوِزر ورفع الذِّكر وعزّ النّصر والتأييد بالملائكة، ونزول السَّكينة وإيتاء الكتاب والحكمة والسَّبع المثاني وإجابة دعوته، والقَسَم باسمه، وردّ الشّمس، وقلب الأعيان، وظلّ الغمام، والإبراء من الآلام، والعصمة من النّاس، والاطلاع على الغيب، وصلاة الله عليه وملائكته، إلى غير ذلك من المُعجزات، وما أعدَّ الله له في الدار الآخرة. صلى الله عليه كلما ذكرك الذّاكِرون وغفل عن ذِكرك الغافلون، والحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة على سيِّدنا محمدٍ وآله أجمعين. تمّت الرِّسالة اللطيفة.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

* * *

هذا الكتاب

باكورة سلسلة مباركة مختصة بكتب المولد النبوي الشريف، تُصدرها دارُ الحديث الكتانية، ضمن عنايتها بطبع ما يمتُّ بصلةٍ إلى الجناب المحمّديّ، من كتب الموالد والشمائل والخصائص والسِّيرة.

قال عن كتابنا هذا مسند الدنيا الإمام محمد عبد الحي الكتاني في رسالته «التآليف المولدية»:

عَرْفُ التعريف بالمولد الشريف: للحافظ أبي الخير ابن الجزري وهو مختصرٌ من مولده الكبير، ذكره له جماعةٌ ممن ترجمه كالسّخاوي في الضوء اللامع. وقد ساق إسناده شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في مشيخته قائلاً: عَرْفُ التعريف في المولد الشريف: أخبرني به الشيخ زينُ الدين أبو النّعيم رضوان المُستملي، بسماعه على مؤلفه الشيخ شمس الدين محمد ابن الجزري، بالمكان الذي وُلد فيه ﷺ بمكة.